وقفة في وفاق التضاد

زهور دكسن

الهندباء على جناح الريح ساجيةٌ . . وليل الهندباءْ
ظلماء خالجها شحوبُ البدرِ تزفرهُ السماءْ
وغمائمُ غرويّةٌ بيضاء تقطر دون ماءْ
وعواءُ كلب الربوةِ الجرداء ردَّدَهُ الخواءْ[1]
وأرى إليه مغالباً بين التهدُّجِ والصدى رعباً
تسمَّرَ فوق صدر الصخر والآجام تشهد موتها
وارى أديم الوردةِ البيضاء منفتحاً على حقل الغبارِ
ودربة الوادي تغيّبُ هالةَ القمر المضرّجِ
باصفرار الموت . .
أوغلْ والدوار رحىً . . نثار حصىً . . وقرقشةٌ
تلوك عصيّةً قدمي . . وأفعى جهمةٌ سوداءْ
تلدغُ جوفها[2] . . لا ماءْ . .
تلتهب الفيافي . . لا ذَرَاً، والروح بين الموتِ والإغفاءْ
فاغرةٌ فماً لِفَمِ !
أُسائِلُ : مَن يقاضيني وجودي؟
تهبط الخلجاتُ موصدةً بأعماقي . .
فأصرخُ . .
يدمغ الإيغال عاصفةَ التواجدِ
يقطع التنّين . .
تنتشر المعارج في المدى المتضّوىء الأركانْ
يدرأ موتَه الجيَشانْ[3]
تشتبك الأواصر بين حدّ الموتِ والميلاد
والإنسان في مدّ ائتلاف النورِ بالظلماء
متّحدٌ ومنجردُ
ومنطفىءٌ ومتّقدٌ . .
وينهمر الدخانُ مطأطئاً . .
والشمسُ تشربه وتضحكُ
والدخانُ مطاطيءُ . .
والشمسُ تشربه وتضحكُ
يا ديونيزَ المموسقَ[4] بائتلاف تناقض التكوينِ
بالأضداءْ . .
في غرقِ الحصى
في الموتِ . .
في الميلادْ
في صمت الصدى
في الشوكِ بالأورادْ[5]
أيّةُ نشوةٍ ومرافئي شجر الظهيرةْ[6]
والفضاء وشائجٌ . .
والنسرُ، والإضفاءْ
والطوق الأليفُ يراقص الأجواءْ
أُصغي . . والرياش تحاور الأصداءْ
أُمعِنُ . . والبراعمُ . . والسنا . . والماءْ
شمس الله جذلى، والربى خضراءْ
تبتكر السعادةُ ذروةَ الأشياءْ[7]
ألقى الله في دربيْ
يضوِّي شمعةَ القلبِ
ويرشقني بماءِ توافق الأضدادْ
يُكمِلُ دورةَ الميعادْ[8]
يُطلقُ بالتواجدِ ضحكةَ الغيبِ[9]

بغداد

---

(١) الوادي الموحش الكئيب والذي قصد به نيتشه ضياع المرء بعدميته واستسلامه لعوامل الحقد والانتقام.
[اللوحات في حكايات زرادشت]
نيتشه

(٢) مأساة الراعي والحيّة
[المصدر نفسه]

(٣) حيث توجد الحياة توجد القوّة.
نيتشه
[إرادة القوة]

(٤) موسيقى النشوة الديونيزية في المأساة اليونانية، وامتنانها لعظمة الوجود في التأكيد على توافق الأضداد.
[الفن هو الذي يثير الحياة ويقوّيها]
[ولادة المأساة من روح الموسيقى]
نيتشه

(٥) لماذا لا يستنتج الإنسان من التناقض والتغير والألم سعادته؟
نيتشه
[المصدر نفسه]

(٦ ـ ٧) ذروة السعادة الديونيزيّة بإتلاف النسر المطوّق بالأفعى وهو يجوب معها الأجواء.
[إنها فرحة مَن يواجه بقوة الإرادة البناء والهدمَ في آن]
نيتشه
[المصدر نفسه]

(٨ ـ ٩) [ضحكة الإله في اكتمال اليقين ساعة دائرة الكون الذهبية]
نيتشه
[اللوحات في حكايات زرادشت]